اللغات ومستكره الكلام لو توسعت بإجازته ، لرخصت لك أن تقول ( رأيت رجلان ) ولقلت ( أردت عن تقول ذاك ) ولكن وضعنا مايتكلم به أهل الحجاز ، وما يختاره فصحاء الأمصار (١).

• جاء فى حديث ابن هشام عن الاستثناء المنقطع : وإن كان منقطعا ، فالحجازيون يوجبون نصبه ، وهى اللغة العليا.. والتميميون يجيزون الإبدال ويختارون النصب (٢) .

فالذى يفهم من كلام « الفراء » أن لغة أهل الحجاز مصونة عن شاذ اللغات ومستكره الكلام ؛ وقد نص ابن هشام صراحة على أنها هى اللغة العليا .

ويبدو أن هذا التعاطف والتفضيل يعود جزء منه إلى الفكرة الشائعة من أن لغة قريش أفصح من غيرها — تقدم الرأى فى ذلك — وقريش فى الحجاز ، فينبغى أن يترتب على ذلك أيضا نسبة فضل عمائل للغة الإقليم كله ، وهو ترجيح لغته على غيرها من لغات الأقاليم الأخرى .

والحق أن هذا الترجيح يفتقر إلى مسوغ لغوى مقنع ، فإن الحجازيين — ومنهم أهل الحاضرة — كانوا أكثر من غيرهم تعرضا للاحتكاك والمخالطة بغيرهم ، وذلك يعرض لغتهم لما يصاحب ذلك من التحريف والفساد فى النطق ، مما دفع علماءنا الأقدمين إلى الانصراف عن الأخذ من حاضرتهم ، — كما صرح بذلك الفارابى فى نصه عن القبائل — والذى أزعمه — وأرجو ألا يجانبنى فى ذلك التوفيق — أن التعاطف مع لهجة الحجاز وتفضيل لغته سببه الشهرة والدافع الدينى ، لا واقع الأمر فيما كانت عليه اللغة .

---

(١) تكملة ماتغلط فيه العامة ص ٥ .

(٢) انظر : شرح شذور الذهب ص ٢٦٥ .